

محاضرة 06: اللغة الأم واللغة المنشأ

تمهيد:

كل عام تحتفي الأمم المتحدة باليوم الدولي للغة الأم لرفع الوعي بضرورة تعزيز التعدد اللغوي والثقافي، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمية اللغة الأم في حياة الفرد والمجتمع مع باعتبارها اللغة الأولى التي متعلمها ونستخدمها كثيرا، والتي نعتبر متحدثين أصليين لها، وعلى الرغم من البساطة التي يبدو عليها مصطلح اللغة الأم إلا أنّ فيه من الصعوبة ما جعل الكثير من الباحثين المختصين يقف عاجزا إعطاء تعريف دقيق لمصطلح اللغة الأم وربما يعود ذلك إلى تداخل هذا المصطلح مع مصطلحات أخرى ك: اللغة الوطنية، اللغة القومية، لغة المنشأ، اللغة الجهوية، وغيرها من المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح اللغة الأم، فمالقصد باللغة الأم، وما المقصود بلغة المنشأ؟ وأيّ المصطلحين أصح؟ وما الفرق بينهما؟ وما هي أهم خصائص هذه اللغة؟

1/ اللغة الأم:

لم يحصل اتفاق نهائي حول مصطلح اللغة الأم بعدما اطلق جزافا على اللغة الرسمية واللغة الجهوية، وكل تعريف كان مصاحبا بوجه نظر ايديولوجية، ولذلك تشعب ونال أبحاثا كبيرة وكثيرة؛ خاصة عند الباحثين الغربيين؛ حيث أجروا دراسات مهمة بغية تحديدها بعدما أخذت تسميات: اللغة الأم، لغة المنشأ، اللغة الوطنية، اللغة القومية، اللغة الجهوية...، وهذا ونال التعريف دلالات متنوعة لتنوع الباحثين في هذا المجال، ونشير إلى بعض التعريفات:

اللغة الأم: يمكن أن نسميه التعريف الأولي، وينظر إلى اللغة الأم على أنّها لغة الأم بالإضافة في المقابل الفرنسي (La langue maternelle) وتكون الترجمة الحرفية لغة الأمومة/ وفي معناها اللغوي هي تلك اللغة التي تتلاغي بها أم الطفل. أو تلك اللغة التي

يلتقطها من أمه بحكم ملازمته لها في مرحلته الأولى من بداية اكتساب اللغة، أو الكلام البلدي للطفل والذي يوظفه بصورة عادية في وسطه المنزلي، وهي اللغة الطبيعية التي يتلقاها دون تدريس¹، وقد يكون هذا المفهوم (المصطلح) في أول ما أطلق صحيحا لكن المتغيرات الاجتماعية فنّدت هذا التعريف؛ إذ إنّ الأم المعاصرة أصبحت تغادر البيت للعمل، وتستعين بالحاضنة (ابنه البلد أو الحاضنة الأجنبية) التي لا تعرف لغة البلد، فالطفل لا يلزم أمه البيولوجية إلاّ ساعات قليلة.

ويعد تعريف مكاي (makay) للغة الأم من أهم الإشارات اللسانية التي عنيت بهذا المفهوم حينما يعتبر اللغة الأم تحيل الموقع الأساسي الأول في ترتيب اللغات واستعمالاتها، وحتى في مكانتها، ما يعني أسبقيتها عن باقي اللغات، ويسمى اللغة الأساسية²

_ في حين يرى "محمد علي الخولي" أنّ اللغة الأم: "هي اللغة الأولى التي يكتسبها الطفل في صباه، وسميت كذلك باعتبار أنّ الاحتكاك الأول للطفل يكون مع أمه؛ إذ إنّ اتصاله بالعالم الخارجي هو اتصال بتلك اللغة التي يرصفها الصبي وهو يحبو، ويسمعها في محيطه الدائم"³، فهذا اللون من اللغة يتشكل مفهوما قارا وقاعديا في التأنيل اللغوي الاجتماعي.

لغة المنشأ⁴:

نعلم أنّ اللغة وليدة البيئة، والطفل أسير مجتمعه، فهو لا يتعلم كلام أمه البيولوجية كما يعتقد البعض، أو كما يدل عليه المفهوم اللغوية للغة الأم؛ لأنّ الطفل في مرحلة التبليغيّة ينغمس في الحمام اللغوي عن طريق أبويه أو الوسائل التي يسمع لها يوميا: تلفاز ألعاب لغوية كما قد يسمع في البيت والوالدين يتكلمان لغتين مختلفتين، ويصبح لسانه مزدوجا، ويتأثر بهما وبالشخص الأقرب إليه، وهذا ما يراه كراشن (Krashen) في نظرية الادخال اللغوي على أنّ قدرة الانسان على الكلام لا تأتي من التعلم الواعي الذي ينتهجه، بل من الاكتساب الذي هو

معرفة شبه واعية حالما يحتك بغيره، ولا يقوم التعلم الواعي إلا بدور المحرر أو المراقب فحسب.

وعلى العموم فإنّ الطفل يأخذ الكلام من البيئة المحيطة به في سنواته الأولى، لأنّ اللغة عن الأطفال مسألة فضاء، فيتعلم الكلام في وقت معين، واللغة التي يتعلمها هي التي يسمعا ممن يحيطون به.

اللغة الأم أو لغة المنشأ كلاهما ترجمة لـ: (La langue maternelle): "وهي اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل، أنّها اللغة التي لا يتعلم الفرد كيف يتواصل بها فقط، بل يتعلم كيف يتعلم بها أيضا كيف يفكر ويفهم ويبني شخصيته"⁵، إنّها لغة المحيط الذي نشأ فيه الطفل، وبالضبط لغة أكثر الناس احتكاكا به، سواء كانت أمه أو مربيته أو أفراد المجتمع الذي ينشأ فيه منذ ولادته، فيكتسبها تلقائيا وذاتيا من دون تعليمه قواعدها، بل عن طريق تعرّضه لها سماعا في بداية الأمر.

إذا فالطفل يكتسب اللغة الأم من عدة مصادر: في حضن الأسرة داخل محيط البيت والمجتمع الأول في الانتماء، وفي الحيز اللغوي الأول الذي يشرع الإنسان في تشكيله، لتصير لغته الأولى التي يستعملها مثلما يكتسبها من الوالدين بطريقة طبيعية، وكذا من أفراد الأسرة وأقرانه في البيت والشارع، فهو اكتساب طبيعي للغة⁶، لذلك فإنّ أحسن مصطلح في رأي أغلب الباحثين المعاصرين، والمناسب لاحتواء هذا المفهوم هو مصطلح لغة المنشأ، لأنّه أكثر استيعابا، وتعبيرا عن المصادر التي يمكن للطفل أن يكتسب منها لغته، والتي ليست دائما أمه فقط، المجمع المعاصر خير دليل على أن الأم ليست المسؤول الوحيد عن تلقين الطفل للغة.

2/مميزات اللغة الأم: نستنتج من خلال التعريفات السابقة أنّ اللغة الأم تتميز بـ:

- ✓ تكتسب بشكل عفوي
- ✓ للأسرة دور فعال في توجيه الطفل أثناء اكتسابه للغة الأم
- ✓ تمتاز بسهولة ألفاظها وقصر جملها وتراكيبها
- ✓ **الفهم العميق**: تمكن لغة الأم الفرد من فهم المفاهيم بشكل عميق ودقيق، وذلك لارتباطها بثقافته وبيئته.
- ✓ **الشعور بالانتماء**: تعزز لغة الأم شعور الفرد بالانتماء إلى ثقافته ومجتمعه.
- ✓ **تنمية المهارات**: تساعد لغة الأم على تنمية مهارات التفكير النقدي، وحل المشكلات لدى الفرد.
- ✓ **تعزيز التواصل الاجتماعي**: تساعد لغة الأم على تعزيز التواصل الاجتماعي بين الأفراد، مما يساهم في بناء مجتمعات أقوى.
- ✓ **مساعدة الطفل على اكتساب اللغة الأم**: التحدث مع الطفل بشكل منتظم، قراءة القصص، والكتب للطفل، غناء الأغاني للطفل، لعب الألعاب اللغوية مع الطفل، تشجيع الطفل على التعبير عن نفسه باستخدام اللغة، الصبر على الطفل وتقديم الدعم له.

المراجع:

- 1: صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة العربية، ع9، خريف 2003م، الجزائر، ص129، 130.
- 2: السعيد مخناش، مقياس علم اللغة الاجتماعي (المطبوعة البيداغوجية)، سنة أولى ماستر، تخصص لسانيات عربية، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، 2017م/ 2018م، ص43.
- 3: محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، 2002م، ص27.
- 4: صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، ص150.
- 5: لطيفة هباشي، الوضعية اللغوية ومصطلحاتها في مجال تعليم اللغات، مجلة التعليمية، م4، ع11، جوان 2017م، ص154.
- 6: نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987م، ص67.